

حب وكوارث

إنه — إذن — الحب الأعمى .. الذى أدى به إلى هذه الكوارث الاقتصادية ..

فيقال إن رجلاً من المهاجرين إلى أستراليا كان يحب الأرانب لدرجة أنه كان يضعها في غرفة نومه . وقد استطاع أن يعلم بعض هذه الأرانب أن تقفز إلى المائدة في أثناء الطعام . ويقال إنه أطلق على نفسه اسم أرنب .. هذا الرجل أحضر معه إلى أستراليا عدداً من الأرانب سنة ١٨٥٩ .

وبعد وفاته تكاثرت الأرانب لدرجة أنها استطاعت أن تقضى على كل المحصولات الزراعية .. فلم يبق للحيوانات الأخرى طعام تأكله . وحاولت أستراليا أن تقاوم الأرانب بالقطط فتكاثرت القطط حتى كانت تفتك بالطيور .. ثم قاوموا هذه الحيوانات التي جاءت للزينة بكثير من المبيدات . وفات الملايين منها ، ولكن بقيت بعد ذلك سلالات تقاوم المبيدات !

وقد أقام أبناء أستراليا سوراً طوله ١١٤٠ ميلاً لمنع الأرانب من دخول الحقول والبيوت والحدائق !

ويقال إن رجلاً آخر كان مغرمًا بأشجار الصبار .. وكان يزرعها في حديقته للزينة . وتكاثر الصبار في أستراليا لدرجة أنه يغطي الآن ألوف الأميال . وقد حاولت أستراليا أن تأتى له بحشرة تقضي عليه ، فما كان من هذه الحشرة إلا أن تكيفت معه .. وعاشت عليه !

ويقال إن أحد الأتراك أعجبه منظر شجر الخشخاش .. وأعجبه

لون زهرتها .. فزرعها في حديقته .. وانتشر الحشخاش ، وهو البنبوع الأول للأفيون : في الشرق الأوسط .. وفي العالم كله !

وأحد الإنجليز قد جاء إلى مصر وزرع في حديقته أيضا نباتاً يطفو على الماء : ورد النيل . هذا النبات قد تحول بسرعة إلى وحش يشرب الماء وينمو بسرعة .. ويخنق الترع ويقتل النباتات : وهو خطر حقيقى على القنوات والترع والنيل من المصب إلى المنبع !

مثل هؤلاء الهواة : أصحاب الحب الأعمى ، يستحقون ضرب الرصاص من شعوبهم ومنا . وإن كنا ندين بالامتنان للرجل الذى أحضر شجيرات القطن وزرعها في حديقته .. للزينة ! وانتشر قطن الزينة وأصبح عصب الاقتصاد القومى في مصر وغيرها من البلاد . وقد حاول هذا الرجل أن يمنع الناس من زراعة هذه الشجرة التى يخرج منها « صوف أبيض » .. ولكنه لم يستطع طبعاً .

ونحن ندخر أعظم وأفخر أنواع الامتنان لكل من يأتى بشجرة للزينة إذا زرعناها مع شجيرات القطن تقضى على الوحش الذى اسمه دودة القطن !



إنسان آخر فيك

أنت لا تعرف بالضبط ما الذى يمكن أن يخرج منك إذا تدربت على نوع معين من الرياضة . إن التدريب يخلق منك إنساناً آخر . هذا الإنسان الآخر موجود فى داخلك وأنت لا تعرفه ..
مثلاً : .. مثلاً .. إذا طاردك كلب فلنك تهرب منه وتقفز من فوق قناة عريضة .

هذه القناة لا تستطيع أن تتجاوزها فى أى ظروف عادية ، فما الذى حدث ؟

إن إثارة عصبية قد منحتك هذه المقدرة المفاجئة .
إن بعض الناس عندما تشتعل النار فى بيوتهم تكون لديهم شجاعة خارقة .

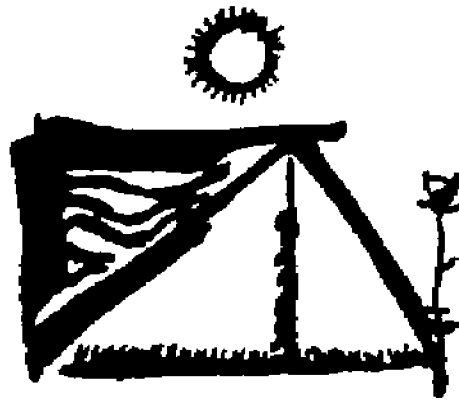
إن رجلاً استطاع أن يقتحم النيران ، وأن ينقذ إحدى بناته ، وقد نجت ابنته لأنه قفز من عشرة أمتار ، فمن أين جاءت هذه القوة ؟ إنها قوة كامنة فى جسمه .

إن الذين رأوا المصابين بمرض «الأموك» المعروف فى آسيا يلاحظون أنهم يحرون بسرعة تفوق سرعة الخيول فى بعض الأحيان .. إن هذا المرض قد وهبهم طاقات نادرة ، كما أن الذين ينامون مغناطيسياً يتصلبون كأنهم ألواح خشبية ، وفى استطاعتهم أن يناموا على كرسيين متباعدين ولفترة طويلة يعجز عنها أكثر الرياضيين قوة . وكذلك المصابون بمرض الكاتلتونيا فمن أين جاءت هذه الصلابة إنها خرجت من أجسامهم . لقد أثبت التحليل الطبى أن عظام بعض الرياضيين

فى صلابة الإسمنت المسلح ، وهؤلاء الرياضيون لا يتناولون أطعمة نادرة ، وإنما ما يتناوله الناس ، فن أين جاءت هذه القوة الحراسانية؟ من أجسامهم طبعاً !

فليس فى أجسامنا قوة عضلية فقط ، وإنما فىنا قدرات وطاقات نفسية لا حدود لها ، ولكننا لا نجربها ، ولكننا لا نمارسها ، لا نتيح لها القرصة لتبرز ، فنحن أقدر على أن نتحمل أكثر مما نتصور . ونحن أقدر على أن نعمل أكثر مما نتصور .

ولسنا فى حاجة إلى كل الأطباق التى نأكلها ولسنا فى حاجة إلى الساعات التى ننامها ، فنحن نجهل أننا أقوىاء .



الإخلاص ليس بدمية

سألني : هل ترى أنني مغفل ؟

فأجبت : نعم .

وروى لي قصته بالتفصيل ، فهو عندما خرج من السجن عاد إلى البيت يدق الجرس لتطل عليه الزوجة وتقول له : اذهب إلى بيت أبيك لا حياة لك هنا ، لقد طلبت الطلاق . .

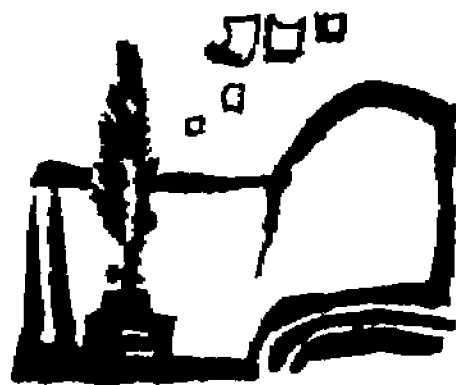
وأمام الطالع والنازل والضيوف والسكان والبواب والسفرجي والأطفال حاول الزوج أن يعرف الأسباب ، ولم تكن هناك أسباب . قال لها : فلوسي باسمك . بيوتي باسمك . شقتي التي ثمنها عشرة آلاف جنيه باسمك ، وشقتي الأخرى ثمنها عشرة آلاف جنيه باسمك . وسيارتي ثمنها ثلاثة آلاف جنيه باسمك . والذهب والمجوهرات كلها باسمك . أعطيتك رقبتي ونمت . لم أكن أتصور أنك أصبحت ارجل آخر أغنى وأقوى !

وينزل من أمام باب بيته مفضوحاً .

ويعود إلى بيت أبيه ويقول : كانت لا تعرف كيف تمسك الشوكة والسكين . . كانت لا تعرف كيف تلبس ، والآن تضع رجلا على رجل وتعري ركبتيها في كل مكتب ، وتلعب بأعصاب الكثير ، وتبيع أنوثتها ، وتخرب بيتها وبيوت الآخرين ، كل هذا كنت أعنى عنه . ستقول إنني مغفل . وقلت إنه بالفعل كذلك وهذا التغفل من جانبه صفة يستحق عليها العقوبة ، فهو لم يكن مغفلاً ، وإنما هو الذي أغمض عينيه وفتح يديه لجمع الفلوس من كل مكان ،

وانشغل الزوج الذى يجمع الفلوس ، وانشغلت الزوجة التى تجمع
 الفساتين والمجوهرات ، ويهتز صدرها وتتسع أذناها للكلمات الحلوة .
 ولا توجد امرأة لا تهزها كلمة حلوة خصوصاً إذا كانت هذه الكلمة
 لا يقولها الزوج . وعندما لا تجد مثل هذه المرأة المنحلة كلاماً عند زوجها
 تبحث عن الكلام عند أزواج الأخريات ، ويسعددها أن تخرب بيوت
 الأخريات أيضاً ، تماماً كما خربت بيتها . والرجل الذى يأخذ الزوج
 والإخلاص فى الزواج بديهية يفاجأ بأن الإخلاص ليس بديهية ،
 وإنما هو اتفاقية يجب أن يؤكددها الزوج والزوجة يومياً .

وعندما امتلأت عيناه بالدموع طلب منى أن أكتب هذه المأساة
 ليعرف الأزواج ماذا تفعل الزوجات . قلت سأفعل ، ولكن لكى
 تعرف الزوجات غباوة بعض الأزواج أيضاً .



المسرح مدرسة بلا مدرس

لا يعجبني منظر المدرس ومعه عدد من الطلبة الصغار يدخلون أحد المسارح . إن وجود المدرس يجعل هذه المسرحية نوعاً من الواجب .. نوعاً من الدرس . يجعل المتعة إجبارية . ويجعل الهدوء في أثناء التمثيل أمراً يقتضيه وجود المدرس . ويجعل التصفيق قاعدة من قواعد السلوك .

ويتحول المسرح والمسرحية إلى « حصة » من الحصص ، وهذا يفسد المتعة التي نريدها لكل من يتفرج على المسرح . وقد جربنا جميعاً ونحن صغار الذهاب إلى حديقة الحيوان مع مدرسينا ، وجربنا أن نلعب بحساب ، وأن نضحك بحساب ، وأن نحاسب بحساب أيضاً . وكل هذا يحد من لذتنا ومن متعتنا .

صحيح أن الطالب الصغير في حاجة إلى من يرشده وإلى من يقول له : هكذا يجب أن تجلس ، وأن تستمع ، وأن تخفض صوتك ، وألا تتكلم بصوت مرتفع .. إلخ ..

ولكن من المؤكد أننا نريد من الطالب الصغير أن يدخل هذه التجربة وحده . أن يذهب إلى المسرح . أن يعرف كيف يكون حجز التذاكر ، وكيف تكون « الطوابير » وكيف يجلس في مكانه . ونريده أن يتعلم من الكبار أدب الصمت وأدب التصفيق ، وأن يجعل من الكبار نموذجاً طيباً له .. وأن يفعل ذلك كله بلا خوف من أحد ، وبلا ضغط من أحد ، وأن تتحقق له اللذة الفنية والمتعة العقلية بحرية كاملة ، وألا يشعر بأن المسرح ليس إلا معبداً وإلا مدرسة ..

وأنا أفضل جمهور المسرح على جمهور السينما ، لأن جمهور المسرح هو جمهور « الكلمة » وليس جمهور « الكاميرا » . وجمهور المسرح هو الجمهور القادر على أن يشترك في التمثيل وذلك عن طريق « الاندماج » في « الجوه » المسرحي وفي « الحوادث » .. وذلك بأن يتحول إلى « طرف » في قضية . وإلى حكم في مباراة من نوع غريب . هذه المباراة هو فيها الكرة واللاعب والحكم والشبكة .

إنني أتمنى أن أرى مع بداية الموسم المسرحي تلامذة صفاراً يتفرجون وحدهم ، ويتعلمون بلذة ومتعة أن المسرح مكان للراحة والدراسة والعلاج والمناقشة اللذيذة ، بلا عصا في يد مدرس ، وبلا تكشيرة على وجهه !



قولان وأكثر

هل هي مسألة فيها قولان ؟ طبعاً ، فيها أكثر من قولين . ولنفرض أن المؤلف الذي روى قصة حياة الرئيس كنيدي على لسان أرملة قد مات هو أيضاً في ظروف غامضة ، فما معنى ذلك ؟ معناه أن هناك « أناساً » حريصون على أن يظل مقتل كنيدي لغزاً ، وأن يحول اغتياله من مأساة إلى جريمة عادية ، وأن تتحول الجريمة إلى « لعنة » وهذه اللعنة قد أصابت جميع أفراد أسرة كنيدي واحداً واحداً .. فالرئيس كنيدي مات قتيلاً ، وأخت كنيدي مجنونة من عشرين سنة ، وأخوه تحطمت ساقه ، وأخوه الثاني تكسرت ضلوعه وقتل ، وأبوه مات نصف مشلول ، وأمه مريضة .. والرجل الذي أصدر عنه أول وثيقة تاريخية قد أصيب بمرض مفاجئ .. أو مات ، وبذلك يصبح كنيدي شبحاً خيفاً لمن يقرب منه .

وفي ظل هذا الخوف ترتعد الحقيقة أو تختفي تماماً .. والقضية هنا أخطر من هذا بكثير . إنها قصة التاريخ ، ومن الذي يكتب التاريخ ؟ وكيف يكتبه !

إن طبيب تشرشل أصدر مذكراته عن هذا السياسي الإنجليزي الخطير ، ولكن جاءت هذه المذكرات من وجهة نظر طبيب ، لا يرى تشرشل إلا مريضاً أو مماتلاً للشفاء . وهذا الطبيب يريد أن يقول إنه هو المسئول عن صحة تشرشل ، وإنه بفضل عنايته قد جعله يعيش حتى التسعين . فالطبيب يريد أن يتخذ له مكاناً في التاريخ على حساب تشرشل !

وايدن عندما كتب مذكراته تحدث عن تشرشل أيضاً ، ولكن كما يتحدث التلميذ عن أستاذه . وهو في هذه المذكرات يقول بشكل غير مباشر إن تشرشل كان عاقلاً جداً جداً ، وإن هذا العقل هو الذى جعله يختار إيدن خلفاً له . فايدن بنى لنفسه قصرأ في جنة تشرشل .

وبعد انتحار الأديب هيمنجواى صدر كتاب لأحد تلامذته ، وأصدرت أرملته كتاباً أيضاً . وكل واحد منهما يروى جانباً من حياة الأديب ، ولكن ما أبعد المسافة بين الكتابين ! وما أغرب التفسيرات والآراء التى صدرت عن شخصين صديقين لرجل واحد !

وربما كان الخوف من التاريخ وما سوف يقوله عن الأدباء والعظماء هو الذى جعلهم يكتبون تاريخهم بأنفسهم قبل أن يموتوا .. تشرشل كتب مذكراته ، وأديناور كتب مذكراته ، وديجول كتب مذكراته والأديبة سيمون دىوفوار كتبت مذكراتها في أربعة أجزاء .. والفيلسوف سارتر كتب قصة حياته .. والعقاد وطه حسين كتب .. والحكيم وزكى نجيب محمود : جميعهم يكتبون تاريخهم قبل أن يكتبه الآخرون . ولكن من المؤكد أن الإنسان عندما يكتب تاريخه ، يضيف صعوبة جديدة إلى دراسة التاريخ ، لأنه يكتب التاريخ من وجهة نظره . فهو يرسم أجمل صورة يراها لنفسه .. أو يحب أن يعلقها الناس في بيوتهم . وليس كل جميل صادقاً وإنما الجمال هنا عمل فنى أو أكذوبة جديدة .

